[61] التوحيد لا تتمّ حتّى تستند إلى برهان العليّة . ولكي تتوضّح قواعد هذا الإستدلال ، ينبغي ملاحظة عدّة اُمور : 1 ـ تعريف أصل العلّية (العلّية) هي العلاقة الوجودية بين شيئين بشكل يكون أحدهما تبعاً للآخر ، ومن يرى انّ علاقة العلّية عبارة عن ظهور حادثين على التعاقب فانّ هذا التعريف يكون ناقصاً ، فصحيح انّ المعلول يحدث بعد علّته ولكن ذلك لا يكفي لتوضيح مفهوم العلّية ، بل لابدّ أن يكون هذا الأمر ناشئاً من العلاقة بينهما ومن تبعية الوجود الثاني إلى الوجود الأوّل . 2 ـ شمولية قانون العلّية وسعة تطبيقاتها طبقاً لما يقوله بعض المحقّقين ، كان قانون العلّة والمعلول أوّل قضيّة شغلت الفكر البشري من بين القضايا الفلسفية سبقاً وقدماً ودفعت البشر للتفكير من أجل إكتشاف ألغاز الوجود ، وأهمّ دافع للتفكير لدى الإنسان الذي يمتلك القدرة على التفكير هو فهم قانون (العلّة والمعلول العامّ) الذي يثبت نأّ لكلّ حادثة علّة وهو السبب في تبادر مفهوم (لماذا) في الذهن البشري ، ولو لم يتعرّف الذهن البشري على مفهوم العلّة والمعلول العامّ ولم يذعن لقانون العلّية لم يكن ليخطر في ذهنه مفهوم (لماذا) ؟(1). هذه الـ (لماذا) هي الأساس لكلّ العلوم والأفكار البشرية والتي دفعت الإنسان للبحث عن الجذور والنتائج لهذا العالم وحوادثه المختلفة . وبعبارة اُخرى ، انّ جميع العلوم البشرية إنعكاس لقانون العلّية ، ولو سُلب هذا القانون من البشر فانّ هذه العلوم سوف تفقد محتوياتها كلّها .

_____

1 ـ اُصول الفلسفة : 3 ـ 175 (اقتباس واختصار) .